لم يكتف السوفيات برفع أهمية الجبهة الوطنية الفلسطينية على حساب خط المنظمة السياسي فقط، بل ظهر اتجاه لدى موسكو، على الرغم من الدعم الثابت لزعامة عرفات منذ العام ١٩٧٣، الى تحسين الاتصال وزيادة الدعم للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. فقد ازداد الاهتمام السوفياتي بأمينها العام نايف حواتمة بعد مشاركته في الوفد الفلسطيني الذي زار الاتحاد السوفياتي، بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ مباشرة. ووفقاً للمصادر السوفياتية، وافق حواتمة على فكرة انشاء دولة فلسطينية صغرى، مع انه بنفسه قال، بعد هذه الزيارة، بأن هذا لا يعني، بأن شكل من الاشكال، نكران الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني بعودته الى كامل وطنه. وبعد سنة من ذلك التاريخ، انتقد محرر صحيفة «ازفستيا»، تولكونوف، في يوم وصول وفد منظمة التحرير الفلسطينية الى موسكو، كل الذين يشجّعون انشاء دولة فلسطينية بدلاً من اسرائيل، مدعياً ان معظم فصائل المنظمة وافقت على موقف واقعي، حيث أيّد الكثيرون منهم فكرة اقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع. وقد استعمل تولكونوف عبارة «واقعي» لمشروع حواتمة الذي أطلقه في العام ١٩٧٣ والداعي الى انشاء «سلطة وطنية فلسطينية في الضفة والقطاع». وكمثال آخر لجهود السوفيات في تصويرهم حواتمة كرجل معتدل، كان البيان الايجابي للمقابلة التي وافق المسؤول الفلسطيني على نشرها في اسرائيل، مستندين الى هذا الحادث كبرهان على ان الصهيونية فشلت في محاولاتها لدفع المنظمات الفلسطينية نحو «التطرف». وقد أُحرج الاتحاد السوفياتي، بشكل خاص، بعد ستة أسابيع من نشر المقابلة، عندما قامت وحدة تابعة الى الجبهة الديمقراطية باحدى أعنف الهجمات، وحجزت ٩٠ طفلاً من التلاميذ الاسرائيلية في معالوت في أيار (مايو) ١٩٧٤، كرد فعل على تهجم بعض فصائل المقاومة الفلسطينية على مقدار اخلاص حواتمة(٨٨).

وبالرغم من ذلك، فقد ضاعف الاتحاد السوفياتي دعمه لحواتمة بدعوته الى موسكو مستقلاً عن الوفد الفلسطيني: اولاً في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ (بعد مؤتمر الرباط مباشرة، وقبل زيارة عرفات التي شارك فيها حواتمة)؛ وثانياً، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٥، بعد زيارة عرفات التي لم يرافقه حواتمة فيها. ومع انه لم يعلن عن الزيارة الاولى في وسائط الاعلام السوفياتية، فقد التقى حواتمة غروميكو بقصد مناقشة المظهر الايجابي لحكومة فلسطينية في المنفى. ولقد كان موقف الاتحاد السوفياتي وحواتمة متطابقاً. ولذا، كان من الطبيعي، نوعاً ما، لموسكو ان تسعى الى تقوية وجهة النظر هذه من طريق حواتمة، في الحوار الذي كان يجرى داخل أطر المنظمة. وقد أُثني على حواتمة لوحده كشخصية سياسية ذات خبرة واسعة المعرفة، وذلك قبل زيارة وفد المنظمة في أيار (مايو) ١٩٧٥ متميزاً بذلك عن «العناصر الرجعية» التي هدّدت الطبيعة التقدمية لقيام دولة فلسطينية. لقد كانت زيارته، في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٥، لموسكو ذات أهمية كبرى، لا لأنها أتت بديلاً من مشاركة الوفد الفلسطيني، بل لأنه، في هذه المرة، أُعلن عن زيارته، وأُصدر بيان (ولو لم يكن مشتركاً) في نهاية الزيارة. وقد أوحى هذا بمساعي السوفيات في تشجيع حواتمة مستقلاً عن عرفات، مع ان وفده دعي على مستوى أدنى (من قبل لجنة التضامن الافرو ـ آسيوية). وكان حواتمة مستعداً للمساعدة، في البيان الختامي، أكثر من عرفات مثنياً على مبادرة موسكو في طرح الدعوة، مجدداً، الى عقد مؤتمر جنيف. وكان لانفراد حواتمة أهمية استثنائية، لأن زيارته جاء في وقت الانشقاقات داخل أطر منظمة التحرير الفلسطينية نتيجة اندلاع القتال في لبنان، ومساعي سوريا للهيمنة على القرار الفلسطيني من طريق منظمة «الصاعقة» التابعة لها(٨٩).

ولكن، باشتداد الحرب الاهلية في لبنان، أصبح موقف الاتحاد السوفياتي وجهاً لوجه مع